
القصص العالمية
الحديقة السرية
Arabcomics.net
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



فرانسِس بورْنت (١٨٤٩ – ١٩٢٤)

وُلِدَتْ في مانْشِسْتر في إنْكِلْترا. وهاجَرَتْ في شَبابِها إلى أَميركا. واشْتَهَرَتْ ككاتِبَةٍ لِعَدَدٍ مِنَ القِصَصِ الَّتي لاقَتْ نَجاحًا شَعْبِيًّا كَبيرًا. وقِصَّةُ «الحَديقَة السِّرِّيَّة» واحِدَةٌ مِنْ أَشْهَرِ أَعْمالِها.

وتَمْتازُ قِصَّةُ «الحَديقَةِ السِّرِّيَّة» بِشَخْصِيّاتِها المُرْهَفَةِ، والَّتي تَتآلَفُ مَعَ الطَّبيعَةِ، وتَتَطَوَّرُ مَعَ أَحْداثِ القِصَّةِ تَطَوُّرًا مُتنامِيًا مُثيرًا. وتَكْشِفُ القِصَّةُ عَنِ العَلاقاتِ الإنْسانِيَّةِ النَّبيلَةِ بِكَثيرٍ مِنَ الحُبِّ والشَّفافِيَّةِ. وهِيَ بالإِضافَةِ إلى ذٰلِكَ قِصَّةُ مُغامَراتٍ يَزيدُها جمالًا الرُّسومُ المُلَوَّنَةُ الَّتي تُزَيِّنُ صَفَحاتِ الكِتابِ.

سِلْسِلَة «القِصَص العالَمِيَّة»

١ – جَزيرَةُ الكَنْز
٢ – أُسْرَةُ روبِنْسُن السّويسرِيَّة
٣ – الحَديقَةُ السِّرِّيَّة
٤ – رِحْلَةٌ إلى باطِنِ الأَرْض
٥ – قِصَّةُ مَدينَتَيْن
٦ – العالَمُ المَفْقود
٧ – الفُرْسانُ الثَّلاثَة

الحَدِيقَةُ السِّرِّيَّة



أَعَدَّ النَّصَّ العَرَبي: الدَّكتور ألبير مُطْلَق
عَنْ قِصَّة: فرانسِس بورْنِت
رُسوم: جورج شَفِلبوثام

مَكتبة لبنان



كانَتْ ماري لِنُكْس فَتاةً مُدَلَّلَةً ، وَقِحَةً وعَصَبِيَّةَ المِزاجِ . وكانَتْ ، في أَغْلَبِ الأَحْيانِ ، عَليلَةً ، نَحيلَةً ، تَعيسَةً وعابِسَةً . فلَمْ يَكُنْ يُحِبُّها أَحَدٌ .

عَلى أَنَّ ماري لَمْ تَكُنْ مَسْؤولَةً ، في الواقِعِ ، عَنْ أَيٍّ مِنْ أَخْطائِها . فقَدْ وُلِدَتْ في الهِنْدِ حَيْثُ كانَ أَبوها يَعْمَلُ . وكانَ أَبوها دائِمَ الانْشِغالِ في عَمَلِهِ ، فلَمْ يَرْعَ ابْنَتَهُ الرِّعايَةَ الكافِيَةَ . وكانَتْ أُمُّها رائِعَةَ الجَمالِ لَمْ تَلْتَفِتْ إِلّا لِحَفَلاتِها ومَسَرّاتِها ، وتَرَكَتِ الفَتاةَ في رِعايَةِ إِحْدى المُرَبِّياتِ . وقَدْ تَرَكَتِ المُرَبِّيَةُ لِلْفَتاةِ حُرِّيَّةَ التَّصَرُّفِ ، تَفْعَلُ ما تَشاءُ وتَحْصُلُ عَلى ما تَشاءُ ، لِتَكُفَّ عَنِ البُكاءِ والصُّراخِ وإِزْعاجِ أُمِّها . فلا غَرابَةَ ، إِذًا ، أَنْ نَشَأَتْ ماري نَشْأَةً مُدَلَّلَةً كَريهَةً .

أَحَسَّتْ ماري ، ذاتَ صَباحٍ ، وكانَتْ في التّاسِعَةِ مِنْ عُمْرِها ، أَنَّ في الأَمْرِ سوءًا . سَمِعَتْ وَهْيَ في غُرْفَتِها أَصْواتًا كَثيرَةً تُنادي وتَصْرُخُ ، ووَقْعَ خُطُواتٍ سَريعَةٍ مُضْطَرِبَةٍ . اِنْتَظَرَتْ طَويلًا ، لٰكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَأْتِ إِلَيْها . أَخيرًا أَحَسَّتْ بِالنُّعاسِ ونامَتْ .

كانَ البَيْتُ ، حينَ اسْتَيْقَظَتْ ماري ، هادِئًا ، خالِيًا مِنْ أَيِّ صَوْتٍ. أَحَسَّتْ بِالغَضَبِ لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَأْتِ إِلَيْها. لٰكِنْ ، فَجْأَةً ، فُتِحَ البابُ ودَخَلَ رَجُلانِ.

ضَرَبَتْ ماري الأَرْضَ بِقَدَمِها ، وصَرَخَتْ : «هَلْ نَسِيَ أَهْلي أَنّي أَعيشُ هُنا؟ لِماذا لَمْ يَأْتِ إِلَيَّ أَحَدٌ؟»

قالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ بِحُزْنٍ : «مِسْكينَةٌ أَنْتِ يا صَغيرَتي! لَنْ يَسْأَلَ عَنْكِ أَحَدٌ بَعْدَ اليَوْمِ.»

عَلى هٰذِهِ الصّورَةِ عَرَفَتْ ماري بِأَنَّ أَبَوَيْها ماتا ؛ فقد فَتَكَ بِهِما مَرَضٌ كانَ يَجْتاحُ البِلادَ. وماتَ مَعَهُما عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ الأَعْوانِ وهَرَبَ الباقونَ خَوْفًا مِنَ المَرَضِ. فَإِذا بِماري وَحيدَةٌ في بِلادِ الهِنْدِ ، لَيْسَ لَها مَنْ يَعْتَني بِها. فَأُرْسِلَتْ إِلى إِنكِلْترا لِتَعيشَ مَعَ عَمِّها السَّيِّدِ كراڤِن في ناحِيَةٍ مِنْ ريفِ مُقاطَعَةِ يوركْشايَر.

في لَنْدَن ، كانَتِ السَّيِّدَةُ مِدْلُك ، مُدَبِّرَةُ مَنْزِلِ العَمِّ ، في اسْتِقْبالِ الفَتاةِ. كَرِهَتْها ماري مُنْذُ أَنْ وَقَعَتْ عَلَيْها عَيْناها ؛ عَلى أَنَّها كَرِهَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ كُلَّ الَّذينَ قابَلَتْهُمْ. أَمّا السَّيِّدَةُ مِدْلُك فَقَدْ رَأَتْ في ماري – عَنْ حَقٍّ – فَتاةً وَقِحَةً تافِهَةً. لٰكِنَّها ، مَعَ ذٰلِكَ ، لاطَفَتْها طَوالَ الطَّريقِ ، وحَدَّثَتْها عَنْ مَنْزِلِ العَمِّ. وبَدا مِنْ حَديثِها أَنَّهُ مَنْزِلٌ كَئيبٌ تُحيطُ بِهِ البَراري مِنْ كُلِّ صَوْبٍ.

ومِمّا قالَتِ السَّيِّدَةُ مِدْلُك : «لَنْ يَكونَ عِنْدَكِ ما تَعْمَلينَهُ ، يا ماري. ولَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْكِ عَمُّكِ. فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَحْدَبُ مُنْطَوٍ عَلى نَفْسِهِ. وكانَ قَبْلَ زَواجِهِ شابًّا غَريبَ التَّصَرُّفاتِ عَصَبِيًّا يَكادُ لا يَبْتَسِمُ. ثُمَّ تَزَوَّجَ فَتاةً رائِعَةَ الجَمالِ ، فَأَحَبَّها حُبَّ عِبادَةٍ. لٰكِنَّ زَوْجَتَهُ ماتَتْ شابَّةً فَازْدادَتْ تَصَرُّفاتُهُ غَرابَةً وعَصَبِيَّةً. وَهوَ ، في أَكْثَرِ الأَوْقاتِ ، مُسافِرٌ. لِذا ، عَلَيْكِ أَنْ تُدَبِّري أُمورَكِ بِنَفْسِكِ.»

كانَ الظَّلامُ قَدْ حَلَّ حينَ وَصَلَ القِطارُ المَحَطَّةَ. وكانَ في انْتِظارِها هُناكَ عَرَبَةٌ يَجُرُّها حِصانانِ ، نَقَلَتْها إِلى المَنْزِلِ. لٰكِنْ ، في ذٰلِكَ الجَوِّ الحالِكِ العاصِفِ بِالمَطَرِ ، لَمْ تَرَ ماري شَيْئًا مِمّا حَوْلَها. فَسَأَلَتْ : «أَيُّ نَوْعٍ مِنَ البَراري يُحيطُ بِالمَنْزِلِ؟»





أجابَتِ السَّيِّدَةُ مِدْلُك : «إنَّها مِساحاتٌ شاسِعَةٌ مِنَ الأَراضي لا يَنْبُتُ فيها غَيْرُ الوَزّالِ والخَلَنْجِ ، ولا يَعيشُ عَلَيْها غَيْرُ الجِيادِ البَرِّيَّةِ وقُطعانِ الماشِيَةِ.»

وَصَلَتِ العَرَبَةُ أَخيرًا إلى المَنْزِلِ ، وانْفَتَحَ بابٌ ضَخْمٌ مِنْ خَشَبِ السِّنْدِيانِ ، وَقَفَ عِنْدَهُ كَبيرُ الخَدَمِ وقالَ : «عَلَيْكِ ، يا سَيِّدَةُ مِدْلُك ، أَنْ تَأْخُذي الفَتاةَ إلى غُرْفَتِها ، فالسَّيِّدُ مُسافِرٌ غَدًا إلى لَنْدَن ولا يَرْغَبُ في رُؤْيَتِها».

مَشَتْ ماري وَراءَ السَّيِّدَةِ مِدْلُك ، فَصَعِدَتا دَرَجًا ، وعَبَرَتا مَمَرّاتٍ عَديدَةً ، ثُمَّ دَخَلَتا غُرْفَةً ذاتَ مِدْفَأَةٍ مُشْتَعِلَةٍ وطاوِلَةٍ عَلَيْها طَعامٌ لِلْعَشاءِ.

قالَتِ السَّيِّدَةُ مِدْلُك : «في هٰذِهِ الغُرْفَةِ تَعيشينَ. فلا تَتَسَكَّعي في أَرْجاءِ المَنْزِلِ.» هٰكَذا اسْتُقْبِلَتْ ماري في مَنْزِلِ عَمِّها. وقَدْ أَغْضَبَها هٰذا الاسْتِقْبالُ ، وزادَ في إحساسِها بالوَحْدَةِ وأَنَّها مَنْبوذَةٌ غَيْرُ مَرْغوبٍ فيها.



إِسْتَيْقَظَتْ ماري في صَباحِ اليَوْمِ التّالي فَوَجَدَتْ في غُرْفَتِها خادِمَةً تُشْعِلُ المِدْفَأَةَ. وأَخَذَتِ الخادِمَةُ، واسْمُها مَرْتا، تَبْتَسِمُ وتَرْوي الأَخْبارَ طَوالَ قِيامِها بِعَمَلِها.

لَمْ تَكُنْ ماري مُعْتادَةً عَلى الخَدَمِ المَرِحينَ. ولَمْ تَكُنْ، في أَثْناءِ حَياتِها في الهِنْدِ، قَدْ لَفَظَتْ، في تَعامُلِها مَعَ الخَدَمِ، بِلَفْظَةِ شُكْرٍ أَوِ اعْتِذارٍ. بَلْ إِنَّها كانَتْ، إِذا غَضِبَتْ، تَصْفَعُ أَحْيانًا مُرَبِّيَتَها. لٰكِنَّ شَيْئًا جَعَلَها تَشْعُرُ الآنَ أَنَّ عَلَيْها أَلّا تُعامِلَ مَرْتا المُعامَلَةَ نَفْسَها. وفي بِدايَةِ الأَمْرِ، لَمْ تَجِدْ ماري في أَخْبارِ مَرْتا ما يُسَلّي. لٰكِنَّها أَخَذَتْ، شَيْئًا فَشَيْئًا، تُنْصِتُ إِلى صَوْتِ الخادِمَةِ الوَدودِ.



قالَتْ مَرْتا: «لَيْتَكِ تَرَيْنَ إِخْوَتي وأَخَواتي في كوخِنا الصَّغيرِ القائِمِ وَسَطَ البَرِّيَّةِ. نَحْنُ في البَيْتِ اثْنا عَشَرَ فَرْدًا، ولا يَكْسِبُ أَبي إِلّا أَجْرًا أُسْبوعِيًّا زَهيدًا. لِذا فَإِنَّ أُمّي تَعْمَلُ لِتُساعِدَ في تَوْفيرِ الطَّعامِ الكافي لِأَفْرادِ الأُسْرَةِ. الهَواءُ النَّقِيُّ في البَرِّيَّةِ يَجْعَلُنا كُلَّنا أَصِحّاءَ أَقْوِياءَ. لَيْتَكِ تَتَعَرَّفينَ إِلى أَخي ديكُن. إِنَّهُ في الثّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، ويُحْسِنُ التَّفاهُمَ مَعَ الحَيَواناتِ؛ وقَدْ رَوَّضَ مُهْرًا بَرِّيًّا.»

أَنْهَتْ مَرْتا عَمَلَها في الغُرْفَةِ وخَرَجَتْ، فَخَرَجَتْ ماري وَراءَها لِتَلْعَبَ.

قالَتْ مَرْتا لماري: «اِذْهَبي والْعَبي في الحَدائِقِ. صَحيحٌ أَنَّ الحَدائِقَ الآنَ فَقيرَةٌ بِالأَزْهارِ والنَّباتاتِ ولٰكِنَّها في الصَّيْفِ ساحِرَةٌ!» تَوَقَّفَتْ لَحْظَةً، ثُمَّ تابَعَتْ بِصَوْتٍ شِبْهِ هامِسٍ قائِلَةً: «السَّيِّدُ كراڤِن أَقْفَلَ بابَ إِحْدى هٰذِهِ الحَدائِقِ مُنْذُ عَشْرِ سَنَواتٍ، يَوْمَ ماتَتْ زَوْجَتُهُ، ودَفَنَ المِفْتاحَ في الأَرْضِ. إِنَّهُ يَكْرَهُ تِلْكَ الحَديقَةَ.»

كانَتْ أَمْلاكُ العَمِّ كراڤِن واسِعَةً، تَفْصِلُ بَيْنَها أَسْوارٌ عالِيَةٌ فَتَقْسِمُها إِلى حَدائِقَ عَديدَةٍ، ولِكُلِّ حَديقَةٍ بابٌ يَصِلُها بِالحَديقَةِ المُجاوِرَةِ. وكانَتْ تَنْمو في بَعْضِ تِلْكَ الحَدائِقِ أَزْهارٌ وأَشْجارٌ وتَقومُ نَوافيرُ مِياهٍ. وفي الأُخرى كانَتْ تُزْرَعُ الخَضْراواتُ. أَمّا في ذٰلِكَ الوَقْتِ مِنَ الشِّتاءِ فَقَدْ كانَتِ الحَدائِقُ كَئيبَةً شِبْهَ عارِيَةٍ.

فَجْأَةً، فُتِحَ بابُ إِحْدى الحَدائِقِ، وبَرَزَ مِنْهُ رَجُلٌ عَجوزٌ بَدا مِنْ تَصَرُّفاتِهِ أَنَّه يُشْبِهُ ماري في عَصَبِيَّتِهِ وسوءِ طَبْعِهِ.

سَأَلَتْهُ ماري: «أَتَسْمَحُ لي بِدُخولِ الحَديقَةِ؟»

أَجابَ بِعُبوسٍ: «لا شَيْءَ يَسْتَحِقُّ المُشاهَدَةَ. لٰكِنْ إِذا شِئْتِ ادْخُلي.»

كانَتْ ماري تَأْمُلُ أَنْ تَجِدَ بابَ الحَديقَةِ المُقْفَلَةِ. جَرَّبَتِ الأَبْوابَ كُلَّها فانْفَتَحَتْ بِيُسْرٍ. وكانَ واحِدٌ مِنَ الأَسْوارِ مُغَطًّى بِالنَّباتاتِ المُتَسَلِّقَةِ المُتَشابِكَةِ، وبَدا أَنْ لا بابَ لَهُ. إِلّا أَنَّ ماري رَأَتْ خَلْفَ ذٰلِكَ السّورِ أَشْجارًا عالِيَةً، ورَأَتْ طَيْرًا مِنْ طُيورِ «أَبو الحِنّ» فَوْقَ غُصْنٍ مِنْ أَغْصانِ تِلْكَ الأَشْجارِ، وسَمِعَتْ تَغْريدَهُ. تَوَقَّفَتْ لَحْظَةً تَسْتَمِعُ إِلى تَغْريدِ الطَّيْرِ السّاحِرِ، فَطَرِبَتْ وارْتَسَمَتِ ابْتِسامَةٌ عَلى وَجْهِها البائِسِ الحَزينِ. ثُمَّ عادَتْ إِلى العَجوزِ. لٰكِنَّهُ تَجاهَلَها وتابَعَ عَمَلَهُ في الأَرْضِ. أَخيرًا قالَتْ لَهُ:



«تِلْكَ الحَديقَةُ لا بابَ لَها.»

فَأَجابَها بِفَظاظَةٍ: «أَيُّ حَديقَةٍ؟»

قالَتْ: «تِلْكَ الَّتي خَلْفَ هٰذا السّورِ، فَقَدْ رَأَيْتُ فَوْقَ أَشْجارِها طائِرًا مِنْ طُيورِ «أَبو الحِنّ» وسَمِعْتُ غِناءَهُ.»

رَفَعَ العَجوزُ قامَتَهُ ، وارْتَسَمَتْ عَلى وَجْهِهِ ابْتِسامَةٌ. فأَحَسَّتْ ماري أَنَّهُ لَيْسَ رَجُلًا قاسِيًا كَما بَدا لَها أَوَّلَ لِقائِها بِهِ. ثُمَّ أَصْدَرَ العَجوزُ صَفيرًا ناعِمًا ، فطارَ «أَبو الحِنِّ» عَنِ الشَّجَرَةِ واسْتَقَرَّ عَلى قَدَمِ العَجوزِ.

قالَ الرَّجُلُ بِصَوْتٍ هادِىءٍ : «ها هُوَ ، إنَّهُ يُلَبّي دائمًا نِدائي. أَلَيْسَ مَخْلوقًا رائِعًا؟ أُنْظُري إلَيْهِ ، إنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّنا نَتَحَدَّثُ عَنْهُ.» راحَ «أَبو الحِنِّ» ، بِقَدِّهِ المُمْتَلِئِ الفَتِيِّ وصَدْرِهِ القِرْمِزِيِّ ، يُنَطْنِطُ عَلى الأَرْضِ مُلْتَقِطًا الحَبَّ. تابَعَ البُسْتانِيُّ العَجوزُ ، واسْمُهُ بِنْ ، عَمَلَهُ في نَقْبِ الأَرْضِ ، وَهْوَ يَقولُ : «إنَّهُ رَفيقي الوَحيدُ. مِنْ غَيْرِهِ أَشْعُرُ بالوَحْدَةِ.»

أَجابَتْ ماري : «وأَنا أَشْعُرُ بِالوَحْدَةِ أَيضًا. لَمْ أَعْرِفْ في حَياتي صَديقًا واحِدًا.»

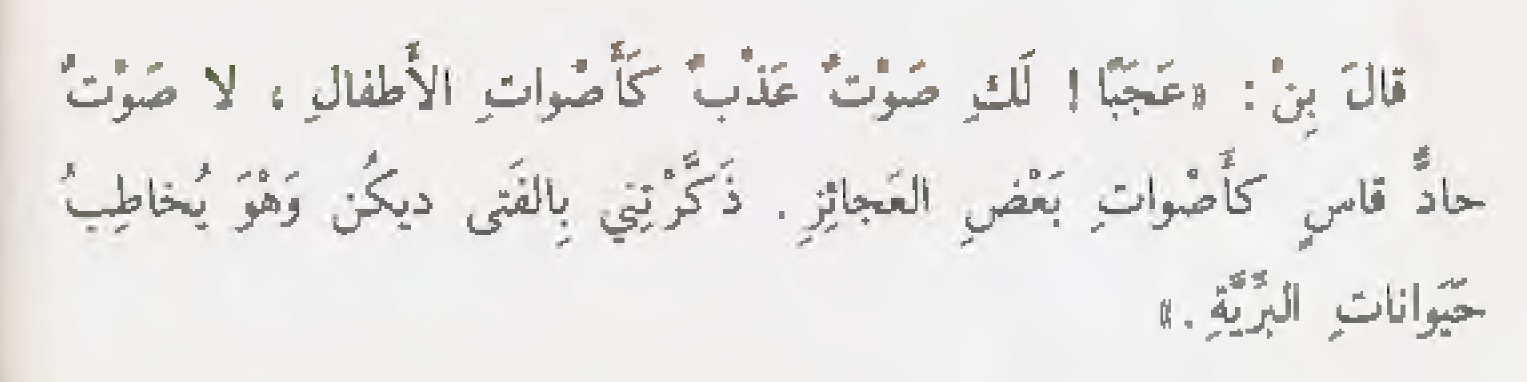
تَوَقَّفَ بِنْ لَحْظَةً ، ثُمَّ قالَ : «أَظُنُّ أَنَّنا ، أَنْتِ وأَنا ، مُتَشابِهانِ. كِلانا غَيْرُ وَسيمٍ. وكِلانا نَكِدٌ ، كَما هُوَ واضِحٌ في وجْهَيْنا.»

لَمْ تَكُنْ ماري قَدْ فَكَّرَتْ يَوْمًا بِوَجْهِها المُتَجَهِّمِ النَّكِدِ وطَبْعِها السَّيِّئِ. أَمّا الآنَ ، وقَدْ فَعَلَتْ ، فإنَّها تَشْعُرُ بالقَلَقِ والحَيْرَةِ. في تِلْكَ اللَّحظَةِ طارَ «أَبو الحِنِّ» إلى شَجَرَةٍ قَريبَةٍ وراحَ يُغَرِّدُ بِأَعْلى صَوْتِهِ.

قالَ بِنْ : «إنَّهُ مُعْجَبٌ بِكِ ، ويُريدُ أَنْ يَكونَ صَديقَكِ.»

نَظَرَتْ ماري إلى الطّائِرِ وقالَتْ : «أَتَقْبَلُ أَنْ تَكونَ صَديقي؟» قالَتْ ذَلِكَ بِصَوْتٍ وادِعٍ حَنونٍ ، لا يُشْبِهُ صَوْتَها الحادَّ القاسِيَ الَّذي تَعَوَّدَتْ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ.



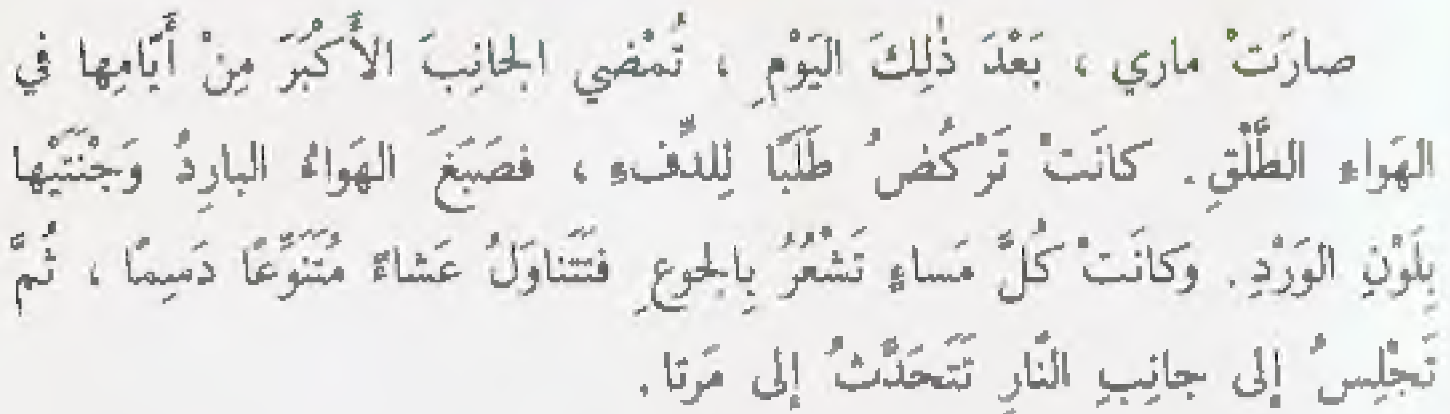


قالَ بن: «عَجَبًا! لَكِ صَوْتٌ عَذْبٌ كَأَصْواتِ الأَطفالِ، لا صَوْتٌ حادٌّ قاسٍ كَأَصْواتِ بَعْضِ العَجائِزِ. ذَكَّرْتِني بِالفَتى ديكن وَهْوَ يُخاطِبُ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ.»

طارَ «أبو الحِنِّ» إلى السّورِ. وقالَتْ ماري: «لا بُدَّ أَنَّ لِتِلْكَ الحَديقَةِ بابًا.»

أجابَ بن بِعَصَبِيَّةٍ: «لا نَعْرِفُ لَها بابًا الآنَ. واحْذَري أَنْ تَتَلَصَّصي على الأَماكِنِ المَحْظورَةِ عَلَيْكِ!» قالَ ذٰلِكَ وأَدارَ ظَهْرَهُ ومَشى مُسْرِعًا دونَ أَنْ يُوَدِّعَها بِكَلِمَةٍ.





صارَتْ ماري، بَعْدَ ذٰلِكَ اليَوْمِ، تُمْضي الجانِبَ الأَكْبَرَ مِنْ أَيّامِها في الهَواءِ الطَّلْقِ. كانَتْ تَرْكُضُ طَلَبًا لِلدِّفْءِ، فَصَبَغَ الهَواءُ البارِدُ وَجْنَتَيْها بِلَوْنِ الوَرْدِ. وكانَتْ كُلَّ مَساءٍ تَشْعُرُ بِالجوعِ فَتَتَناوَلُ عَشاءً مُتَنَوِّعًا دَسِمًا، ثُمَّ تَجْلِسُ إلى جانِبِ النّارِ تَتَحَدَّثُ إلى مَرْتا.

قالَتْ ماري ذاتَ مَساءٍ: «لِمَ يَكْرَهُ السَّيِّدُ كراڤن الحَديقَةَ المُقْفَلَةَ؟»

أجابَتْ مَرْتا: «كانَتْ تِلْكَ حَديقَةَ السَّيِّدِ زَوْجَتِهِ، وكانَتْ تُحِبُّها كَثيرًا. وبَيْنَما كانَتْ ذاتَ يَوْمٍ جالِسَةً فَوْقَ شَجَرَةٍ انْكَسَرَ بِها غُصْنٌ فَوَقَعَتْ وماتَتْ. لِذٰلِكَ يَكْرَهُ السَّيِّدُ كراڤن هٰذِهِ الحَديقَةَ، ولا يَسْمَحُ لِأَحَدٍ بِأَنْ يَتَحَدَّثَ عَنْها.»



لَمْ تكُنْ ماري قَدْ أشْفَقَتْ في حَياتِها عَلى إنْسانٍ. أَمّا الآنَ فإنّها وَعَتْ التَّعاسَةَ العَميقَةَ الَّتي لا بُدَّ أنَّ السَّيِّدَ كْرافِن يُحِسُّ بِها. هَبَّتْ ريحٌ عاصِفَةٌ في البَرِّيَّةِ، وأَنَّتْ حَوْلَ المَنْزِلِ وزَمْجَرَتْ. أَنْصَتَتْ ماري إلى زَمْجَرَةِ الرّيحِ فَتَراءى لَها أنَّها تَحْمِلُ مَعَها صَوْتَ وَلَدٍ يَبْكي.

حاوَلَتْ أَنْ تَسْتَفْسِرَ مِنْ مَرْتا عَمّا سَمِعَتْ مِنْ أَصْواتٍ. لكِنَّ مَرْتا أَنْكَرَتْ أَنْ تَكونَ سَمِعَتْ بُكاءَ وَلَدٍ، وقالَتْ، وقَدْ بَدا عَلَيْها الاضْطِرابُ.

«كانَ ذلِكَ صَوْتَ خادِمَةِ المَطْبَخِ وإِنَّها تَصْرُخُ أَلَمًا مِنْ وَجَعٍ في أَسْنانِها.» وخَرَجَتْ مِنْ غُرْفَةِ ماري عَلى عَجَلٍ.

هَطَلَتِ الأَمْطارُ في اليَوْمِ التّالي بِغَزارَةٍ، فقالَتْ مَرْتا: «في مِثْلِ هذا اليَوْمِ، يَزْدَحِمُ أَفْرادُ أُسْرَتي كُلُّهُمْ في الكوخِ الصَّغيرِ، لا يَعْرِفُ الواحِدُ مِنْهُمْ كَيْفَ يَتَجَنَّبُ الاصْطِدامَ بالآخَرينَ. إلّا أَخي ديكُن فإنَّهُ، مَهْما يَكُنِ الطَّقْسُ قاسِيًا، يَخْرُجُ إلى البَرِّيَّةِ. رَأى مَرَّةً تَتْفُلًا (جَرْوَ ثَعْلَبٍ) يوشِكُ أَنْ يَغْرَقَ، فأَنْقَذَهُ وأَحْضَرَهُ مَعَهُ إلى البَيْتِ. وعِنْدَهُ أَيْضًا غُرابٌ أَليفٌ أَسْماهُ سوت.»

قَرَّرَتْ ماري، حينَ أَضْحَتْ وَحْدَها، أَنْ تَسْتَكْشِفَ المَنْزِلَ. فَمَشَتْ في مَمَرّاتٍ، وصَعِدَتْ دَرَجاتٍ ونَزَلَتْ غَيْرَها. وتَناهى إِلَيْها، عَبْرَ السُّكونِ هذِهِ المَرَّةَ، صَوْتُ وَلَدٍ يَبْكي.

وما إِنِ انْحَنَتْ ومَدَّتْ رَأْسَها إلى بابٍ تُحاوِلُ الإنْصاتَ حَتّى انْفَتَحَ بابٌ آخَرُ بَرَزَتْ مِنْهُ السَّيِّدَةُ مِدْلُك الَّتي قالَتْ بِصَوْتٍ آمِرٍ: «ماذا تَفْعَلينَ هُنا؟ عودي إلى غُرْفَتِكِ حالًا!»



أَحَسَّتْ ماري بِالغَضَبِ. فَقَدْ كانَتْ واثِقَةً أَنَّها سَمِعَتْ بُكاءً ، وبَدَتْ مُصَمِّمَةً عَلى أَنْ تَكْتَشِفَ سِرَّ ذٰلِكَ البُكاءِ.

مَرَّتْ أَيَّامُ الشِّتاءِ العاصِفَةُ. قالَتْ مَرْتا: «إِنْتَظِري حَتّى تُشْرِقَ الشَّمْسُ عَلى نَباتاتِ الوَزّالِ والخَلَنْجِ الذَّهَبِيَّةِ!»

قالَتْ ماري: «أَتَمَنّى لَوْ أَزورُ كوخَكُمْ في البَرِّيَّةِ وأَتَعَرَّفُ إِلى أُمِّكِ.»

قالَتْ مَرْتا: «سَتُحِبّينَ أُمّي. فَهِيَ لَطيفَةٌ، وعامِلَةٌ لا تَعْرِفُ الكَلَلَ. أَتَشَوَّقُ دائِمًا إِلى زِيارَتِها، وأَقْضي أَحْلى أَوْقاتي في البَيْتِ.»

قالَتْ ماري: «أَتَمَنّى أَنْ أَتَعَرَّفَ إِلى أَخيكِ ديكُن أَيْضًا.»

قالَتْ مَرْتا: «سَتُحِبّينَهُ هُوَ أَيْضًا. الجَميعُ يُحِبّونَ ديكُن.»

فَتَنَهَّدَتْ ماري وقالَتْ بِحُزْنٍ: «أَمّا أَنا فَلا يُحِبُّني أَحَدٌ.»



إِبْتَسَمَتْ مَرْتا وقالَتْ بِبَراءَةٍ: «رُبَّما لِأَنَّكِ أَنْتِ لا تُحِبِّينَ أَحَدًا مِنَ النّاسِ.»

شَعَرَتْ ماري بالحَيْرَةِ، وقالَتْ «لَمْ أُفَكِّرْ في هذا الأَمْرِ أَبَدًا»



ثُمَّ خَرَجَتْ إلى الحَديقَةِ ورَأَتِ البُسْتانِيَّ العَجوزَ بِنْ يَعْمَلُ في الأَرْضِ. قالَ لَها: «الرَّبيعُ آتٍ، بَدَأَتِ الحَياةُ تَتَحَرَّكُ تَحْتَ الأَرْضِ. عَمّا قَريبٍ تَرَيْنَ نَباتاتِ الزَّعْفَرانِ وغَيْرَها مِنَ النَّباتاتِ البَرِّيَّةِ المُبْهِجَةِ.»

طارَ «أبو الحِنّ» وحَطَّ عَلى السّورِ المُغَطّى بالنَّباتاتِ المُتَسَلِّقَةِ. فَرَكَضَتْ ماري إِلَيْهِ. لٰكِنَّهُ قَفَزَ إِلى الأَرْضِ. جَثَمَتْ ماري عَلى الأَرْضِ وأَخَذَتْ تَقْتَرِبُ مِنْهُ، فَراحَ يُغَرِّدُ وكَأَنَّهُ يُريدُ أَنْ يَقولَ لَها شَيْئًا. اِقْتَرَبَتْ مِنْهُ كَثيرًا فأَحَسَّتْ بِسَعادَةٍ عامِرَةٍ مَلَكَتْ عَلَيْها أَنْفاسَها. أَخَذَ «أبو الحِنّ» يَنْقُرُ الأَرْضَ بَحْثًا عَنْ دودَةٍ. وفَجْأَةً، رَأَتْ ماري في التُّرابِ مِفْتاحًا صَدِئًا!

قالَتْ في نَفْسِها: «لَعَلَّهُ مِفْتاحُ الحَديقَةِ السِّرِّيَّةِ!» ثُمَّ دَسَّتِ المِفْتاحَ في جَيْبِها ورَكَضَتْ إلى غُرْفَتِها.

تَحَدَّثَتْ مَرْتا بَعْدَ العَشاءِ إلى ماري وأَخْبَرَتْها عَنْ يَوْمِها الَّذي قَضَتْهُ في كوخِ أَهْلِها الصَّغيرِ. قالَتْ لَها: «أُمّي تَرى أَنَّ حَياتَكِ هُنا مُوحِشَةٌ، لِذا فَقَدْ أَرْسَلَتْ لَكِ هَدِيَّةً تُسَلّيكِ.» ثُمَّ أَتَتْ بِحَبْلَةِ نَطٍّ ذاتِ مُسْكَتَيْنِ وأَرَتْها كَيْفَ تَنُطُّ بِها

كانَتْ تِلْكَ مُفاجَأَةً سارَّةً لَمْ تَكُنْ ماري تَحْسَبُ أَنَّ في إِمْكانِ أُمِّ مَرْتا أَنْ تُوَفِّرَ ثَمَنَ حَبْلَةِ نَطٍّ، فَقالَتْ: «أُمُّكِ سَيِّدَةٌ لَطيفَةٌ جِدًّا.» ومُنْذُ ذٰلِكَ الوَقْتِ كانَتْ ماري، أَيْنَما ذَهَبَتْ، تَحْمِلُ مَعَها حَبْلَتَها تَنُطُّ بِها. فَيَزْدادُ جِسْمُها قُوَّةً، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.



كانَ «أبو الحِنِّ» ذاتَ صَباحٍ واقِفًا عَلى السّورِ يُتابِعُ بِعَيْنَيْهِ ماري وَهِيَ تَرْكُضُ وتَلْعَبُ. فَجْأَةً، حَدَثَ ما يُشْبِهُ السِّحرَ، فَقَدْ هَبَّتْ ريحٌ قَوِيَّةٌ أَزاحَتْ جانِبًا مِنَ النَّباتاتِ المُتَسَلِّقَةِ عَنِ السّورِ، فَانْكَشَفَ بابٌ خَشَبِيٌّ ضَخْمٌ عَتيقٌ. تَلَمَّسَتْ ماري جَيْبَها وأَخْرَجَتِ المِفْتاحَ الصَّدِئَ بِحَماسَةٍ وقَلَقٍ، وراحَتْ تُعالِجُ البابَ بِكُلِّ قُوَّتِها. حاوَلَتْ كَثيرًا حَتّى كادَتْ تَيْأَسُ أَخيرًا انْفَتَحَ البابُ. فَأَسْرَعَتْ تَدْخُلُ مِنْهُ. وَقَفَتْ داخِلَ الحَديقَةِ مَبْهورَةً، وأَخَذَتْ تَتَلَفَّتُ حَوْلَها وقَلْبُها يَخْفُقُ خَفَقانًا شَديدًا. كانَتِ الأَعْشابُ العالِيَةُ المُتَشابِكَةُ تُغَطّي الحَديقَةَ كُلَّها. لكِنْ، كانَ بَعْضُ النَّباتاتِ الزَّهْرِيَّةِ الجَميلَةِ

قَدْ أَخَذَ يَشُقُّ التُّرْبَةَ وَيَتَسَرَّبُ دافِعًا الأَعْشابَ لِيَأْخُذَ لَهُ مَكانًا. أَسْرَعَتْ ماري تَنْزَعُ الأَعْشابَ الضّارَّةَ وتُزيلُ أَوْراقَ الشَّجَرِ المَيْتَةَ. فَمَرَّ الوَقْتُ دونَ أَنْ تَشْعُرَ بِذلِكَ.

شَعَرَتْ ماري، أَثْناءَ تَناوُلِ العَشاءِ، بِرَغْبَةٍ قَوِيَّةٍ لِإِشْراكِ مَرْتا بِالسِّرِّ الَّذي تُخْفيهِ. لكِنَّها خَشِيَتْ أَنْ يُؤَدّي ذلِكَ إلى حِرْمانِها مِنَ الذَّهابِ إلى حَديقَتِها السِّرِّيَّةِ. فَاكْتَفَتْ بِأَنْ قالَتْ لَها. «لَيْتَهُ كانَ عِنْدي حَديقَةٌ صَغيرَةٌ أَزْرَعُها!»

أَجابَتْ مَرْتا: «فِكْرَةٌ عَظيمَةٌ! سَأَطْلُبُ مِنْ ديكُن أَنْ يَجْلُبَ لَكِ أَدَواتٍ لِلزَّرْعِ وبُذورًا.»

كانَ كُلُّ شَيْءٍ في الحَديقَةِ السِّرِّيَّةِ قَدْ بَدَأَ يَنْمو ويُزْهِرُ وصارَتْ ماري تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إلى هُناكَ تُنظِّفُ الأَرْضَ وتَرعى النَّباتاتِ. وحَرِصَتْ عَلى أَلّا يَعْرِفَ البُسْتانِيُّ بِنْ أَيْنَ تَذْهَبُ. قالَ لَها بِنْ ذاتَ يَوْمٍ: «الهَواءُ الطَّلْقُ أَفادَكِ؛ إذِ امْتَلأَ جِسْمُكِ وخَفَّ صُراخُكِ. لَقَدْ بَدَوْتِ، أَوَّلَ وُصولِكِ إلى هُنا، كَفَرْخِ غُرابٍ عارٍ مِنَ الرِّيشِ.»

ضَحِكَتْ ماري. فَقَدْ أَصْبَحَتْ تُحِبُّ بِنْ، حَتّى في أَيّامِ نَكَدِهِ وتَشَكّيهِ.

رَأَتْ ماري، في أَحَدِ الأَيّامِ، وَلَدًا يَجْلِسُ تَحْتَ شَجَرَةٍ. وكانَ إلى جانِبِ الوَلَدِ أَرْنَبٌ وطائِرٌ مِنْ طُيورِ التَّدْرُجِ، وفَوْقَ رَأْسِهِ، عَلى الشَّجَرَةِ، سِنْجابٌ مائِلٌ بِجَسَدِهِ إلَيْهِ. وكانَتِ الحَيَواناتُ كُلُّها تُنْصِتُ إلى الوَلَدِ وهُوَ يَعْزِفُ عَلى مِزْمارٍ أَلْحانًا حُلْوَةً. شاهَدَ الوَلَدُ ماري فَقامَ بِهُدوءٍ، وكَأَنَّهُ يُحاوِلُ أَلّا يُفْزِعَ أَصْدِقاءَهُ. ولَمَعَتْ عَيْناهُ الزَّرقاوانِ الرَّيّانَتانِ بِابْتِسامَةٍ وادِعَةٍ، وقال: «أَنا دِيكُن. جِئْتُكِ بِأَدَواتِ الزَّرْعِ والبُذورِ. أَلَسْتِ أَنْتِ ماري؟»

أَدْخَلَتِ ابْتِسامَةُ دِيكُن الوادِعَةُ الاطْمِئْنانَ إلى قَلْبِ ماري وأَسْتَهَا خَجَلَها. وأَحَسَّتْ أَنَّهُ إذا كانَتِ الحَيَواناتُ والطُّيورُ تَثِقُ بِهِ فَهِيَ تَثِقُ بِهِ أَيْضًا. وبَعْدَ بُرْهَةٍ وَجَدَتْ نَفْسَها تَقولُ لَهُ: «هَلْ سَمِعْتَ بِالحَديقَةِ السِّرِّيَّةِ؟»

أَجابَها دِيكُن: «سَمِعْتُ بِها، لكِنْ لا أَعْرِفُ مَكانَها.»



تَفَقَّدَتْ ماري حَوْلَها لِتَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لا يُراقِبُ، ثُمَّ قادَتْ ديكُن عَبْرَ بابِ الحَديقَةِ السِّرِّيَّةِ. بَدَتِ الدَّهْشَةُ عَلى وَجْهِ ديكُن، وَهُوَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ إِلى النَّباتاتِ والأَشْجارِ، وقالَ: «هٰذِهِ كُلُّها سَتُزْهِرُ، وسَتَرَيْنَ أَزْهارًا وورُودًا في كُلِّ مَكانٍ. لَنْ تَمُرَّ أَسابيعُ إِلَّا وتَرَيْنَ الأَشْجارَ قَدْ أَوْرَقَتْ.»

أَخَذَ الإثْنانِ مَعًا يُزيلانِ الأَعْشابَ الضّارَّةَ، ويُقَلِّمانِ الأَشْجارَ. وأَحَسَّتْ ماري أَنَّها لَمْ تُقابِلْ أَحَدًا في وَداعَةِ ديكُن وبَراءَتِهِ. قالَتْ لَهُ، مُحاوِلَةً أَنْ تُقَلِّدَ صَوْتَهُ الدّافِئَ الحَنونَ: «أَتُحِبُّني يا ديكُن؟»

ضَحِكَ ديكُن، وقالَ: «طَبْعًا أُحِبُّكِ! و«أَبو الحِنّ» يُحِبُّكِ أَيْضًا.»

جاءَتِ السَّيِّدَةُ ميدْلُك بَعْدَ العَشاءِ إِلى ماري، وقالَتْ لَها: «تَعالَيْ مَعي! السَّيِّدُ كراڤِن مُسافِرٌ غَدًا، ويُريدُ أَنْ يَراكِ قَبْلَ سَفَرِهِ.»

إِرْتَبَكَتْ ماري ارْتِباكًا شَديدًا. وانْتابَها شَيْءٌ مِنَ الخَوْفِ، وأَحَسَّتْ بِجَسَدِها يَتَصَلَّبُ. غَيْرَ أَنَّ السَّيِّدَ كراڤِن لَمْ يَكُنْ مُخيفًا إِطْلاقًا، ولا كانَتْ حَدَبَةُ ظَهْرِهِ مُلْفِتَةً لِلنَّظَرِ. أَمّا وَجْهُهُ فَكانَ لَطيفًا وإِنْ بَدا ناطِقًا بِالقَلَقِ والتَّعاسَةِ. سَأَلَها إِنْ كانَتْ تَرْغَبُ في شَيْءٍ، فَطَلَبَتْ مِنْهُ ماري أَنْ يَكونَ لَها جانِبٌ مِنْ حَديقَةٍ تَزْرَعُ فيهِ أَزْهارًا.

أَجابَها عَمُّها: «لَكِ ما تَشائينَ. إِخْتاري أَيَّ قِطْعَةٍ مِنَ الأَرْضِ غَيْرِ مُسْتَعْمَلَةٍ بَعْدُ.» ماري تَعْرِفُ أَيَّ قِطْعَةٍ تُريدُ. فَإِنَّها صارَتْ تَعْتَبِرُ الحَديقَةَ السِّرِّيَّةَ حَديقَتَها!



استيقظت ماري ليلاً على صوت المطر المنهمر والرياح العاصفة وخشيت أن يجبرها الجو العاصف على البقاء في المنزل. وبينما كانت تتقلب في فراشها سمعت صوت الولد الباكي مرة أخرى. فهمست قائلة: «لا يمكن أن يكون هذا صوت الريح! لا يهمني ما تدعيه السيدة مدلك. سأذهب وأستكشف الأمر»

حملت في يدها شمعة ومشت بهدوء عبر الممرات. رأت نوراً يتسرب من تحت باب من أبواب المنزل. فتحت الباب برفق فإذا بها أمام سرير ذي أعمدة أربعة ينام فيه فتى يبكي بكاء حاداً.

توقف الفتى فجأة عن البكاء والتفت إلى ماري، وقال لها بخوف شديد: «أأنت شبح؟»





أجابت ماري: «لا، أنا ماري لِنكس. وأنت، من تكون؟»

قال الولد: «أنا كولن، ابن السيد كراڤن»

فأسرعت ماري تقول: «أنت، إذاً، ابن عمي. ألم يقل لك أحد إني آتية لأعيش معكم؟»

أجاب كولن: «لا، لا أحد يجرؤ على ذلك. وأخشى أن يعلم أبي أنك رأيتني. أبي لا يسمح لأحد أن يراني. فهو يخاف أن أصبح، حين أكبر، أحدب مثله. إنه يكرهني لأن أمي ماتت بعيد ولادتي. أما أنا فلا يفارقني المرض لذا ألازم الفراش.»



سَأَلَتْهُ ماري: «أَلا تَتْرُكُ فِراشَكَ أَبَدًا؟»

أَجابَ كولِن: «نادِرًا ما أَتْرُكُ فِراشي. إِذا خَرَجْتُ مِنَ المَنْزِلِ يُحَدِّقُ النّاسُ فِيَّ، فَيُؤْلِمُني ذلِكَ كَثيرًا.»

قالَتْ لَهُ ماري: «ما دُمْتَ لا تَرْغَبُ أَنْ يَراكَ النّاسُ، فَهَلْ تُريدُني أَنْ أَخْرُجَ مِنْ غُرْفَتِكَ؟»

أَجابَ كولِن بِسُرْعَةٍ: «لا، أَرْجوكِ! اِبْقَي مَعي وَحَدِّثيني.»

تَحَدَّثَتْ ماري إِلى كولِن طَويلًا، وَفَهِمَتْ أَنَّهُ تَعيسٌ جِدًّا وَأَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يُشْفى أَبَدًا.

قالَ لَها كولِن: «الخَدَمُ جَميعًا يَسْعَوْنَ إِلى إِرْضائي. فَالغَضَبُ يَزيدُ في مَرَضي. عَلَيْهِمْ جَميعًا أَنْ يُلَبّوا طَلَباتي» ثُمَّ سَأَلَها عَنْ سِنِّها، فَأَجابَتْ:

«أَنا في العاشِرَةِ مِنْ عُمْري. أَيْ إِنّي في سِنِّكَ.»

قالَ لَها مُسْتَغْرِبًا: «وَكَيْفَ عَرَفْتِ أَنَّني في العاشِرَةِ مِنْ عُمْري؟»

أَجابَتْ ماري: «لِأَنَّ الحَديقَةَ أُقْفِلَتْ مُنْذُ عَشْرِ سَنَواتٍ بَعْدَ وِلادَتِكَ بِقَليلٍ.»

فَسَأَلَ كولِن: «أَيُّ حَديقَةٍ؟»

أَجابَتْ ماري: «حَديقَةٌ يَكْرَهُها السَّيِّدُ كراڤن، أَقْفَلَ بابَها وَدَفَنَ المِفْتاحَ.»

فَسَأَلَ كولِن بِإِصْرارٍ: «أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الحَدائِقِ هِيَ؟»

كانَتْ ماري حَريصَةً عَلى أَلّا يَعْرِفَ كولِن أَنَّها قَدْ دَخَلَتِ الحَديقَةَ فِعْلًا، فَقالَتْ بِسُرْعَةٍ: «لا أَعْرِفُ فَإِنَّهُ لَمْ يُسْمَحْ لِأَحَدٍ، مُنْذُ عَشْرِ سَنَواتٍ، بِالدُّخولِ إِلَيْها» ثُمَّ تَحادَثا في مُخْتَلِفِ الأُمورِ المُثيرَةِ الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ في هٰذِهِ الحَديقَةِ.





قالَ كولِن «سَأَجْعَلُهُمْ يَفتَحونَ البابَ»

فصَرَخَتْ ماري «أَرْجوكَ أَلّا تَفعَلَ! لِنَحْتَفِظْ بِالأَمْرِ سِرًّا إِذا فَتَحوا البابَ فلَنْ يَبْقى لَنا سِرٌّ قَدْ نَجِدُ البابَ يَوْمًا فنَدْخُلُ الحَديقَةَ ويَكونُ ذٰلِكَ سِرَّنا لا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ غَيْرُنا.»

قالَ كولِن: «فِكْرَةٌ عَظيمَةٌ! فأَنا لَمْ أَعْرِفْ مُتْعَةَ الأَسْرارِ مِنْ قَبْلُ.»

وكانَ قَدْ أَنْهَكَهُ الكَلامُ، فنامَ. وتَسَلَّلَتْ ماري إِلى غُرْفَتِها.

في اليَوْمِ التّالي، أَخْبَرَتْ ماري خادِمَتَها مَرْتا عَنْ أَصْواتِ الوَلَدِ الباكي وعَنِ اكْتِشافِها سِرَّ هٰذِهِ الأَصْواتِ. فاضطَرَبَتْ مَرْتا اضْطِرابًا شَديدًا، وخافَتْ أَنْ تَفْقِدَ وَظيفَتَها لِأَنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَمْنَعَ ماري مِنَ الوُصولِ إِلى سَيِّدِ المَنْزِلِ الصَّغيرِ.

قالَتْ لَها ماري: «لا تَخافي! كولِن كانَ سَعيدًا بِزِيارَتي، ويُريدُ أَنْ يَراني كُلَّ يَوْمٍ.»

فصاحَتْ مَرْتا مَذْعورَةً: «لا شَكَّ أَنَّكِ سَحَرْتِهِ!»



اِستفسرَتْ ماري عَنْ مَرضِ كولِن ، فأخبرَتْها مَرْتا أنَّهُ مُنذُ وُلِدَ لَمْ يُسمَحْ لَهُ بالسَّيرِ على قَدَمَيْهِ. فقدِ اعتَقَدَ أبوهُ أنَّ ظَهْرَهُ ضعيفٌ لا يَتَحمَّلُ السَّيرَ. واستُدْعِيَ أحَدُ الأطِبَّاءِ المَشْهورينَ بِعِلاجِهِ ، فرأى الطَّبيبُ أنَّ عِلَّةَ الفتى في خَوْفِ أهْلِهِ عَلَيْهِ ، وأنَّهُ سيَتَعافى إذا تُرِكَ يَعيشُ حياةً طَبيعيَّةً ، كَما يَعيشُ سائِرُ الأوْلادِ.

قالَتْ ماري : «يَظُنُّ كولِن أنَّهُ لَنْ يَشْفى مِنْ مَرَضِهِ ؛ ما رَأْيُكِ أنْتِ؟»

أجابَتْ مَرْتا : «أُمّي تَقولُ : لا يَعيشُ الأطْفالُ الَّذينَ لا يَخْرُجونَ إلى الهَواءِ الطَّلْقِ.»

قالَتْ ماري : «الهَواءُ الطَّلْقُ أفادَني. أتَظُنِّينَ أنَّهُ يُفيدُ كولِن؟»

أجابَتْ مَرْتا : «لا أعْرِفُ. فإنَّهُ حُمِلَ مَرَّةً إلى حَديقَةٍ مِنْ حَدائِقِ المَنْزِلِ فأُصيبَ بِنَوْبَةِ هِياجٍ قَوِيَّةٍ. وكانَ سَبَبُ هِياجِهِ ظَنَّهُ أنَّ البُسْتانِيِّينَ يُراقِبونَ حَرَكاتِهِ. بَكى وصَرَخَ كَثيرًا فاشْتَدَّ عَلَيْهِ مَرَضُه طَوالَ لَيْلَتِهِ تِلْكَ.»

قالَتْ ماري : «إذا غَضِبَ مِنّي مَرَّةً فَلَنْ أُقابِلَهُ أبَدًا.»

حَرِصَتْ ماري في زِيارَتِها التّالِيَةِ لِكولِن أنْ تُحَدِّثَهُ عَنْ أخْبارِ ديكُن. قالَتْ لَهُ :

«لَيْسَ لِذلِكَ الفَتى مَثيلٌ في العالَمِ كُلِّهِ. إنَّهُ قادِرٌ عَلى اجْتِذابِ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ. حينَ يَعْزِفُ عَلى مِزْمارِهِ تَأْتي إلَيْهِ الحَيَواناتُ وتَجْلِسُ عِنْدَهُ وادِعَةً مُنْصِتَةً.»

قالَ كولِن : «يَبْدو أنَّ البَرِّيَّةَ مَكانٌ بَديعٌ. ولٰكِنْ لَنْ أرى البَرِّيَّةَ أبَدًا ، فأنا مُشْرِفٌ عَلى المَوْتِ.»

أحَسَّتْ ماري بِغَضَبٍ. لَقَدْ تَحَدَّثَ كولِن عَنِ المَوْتِ وكَأنَّهُ يَتَرَقَّبُ حُدوثَهُ. فصاحَتْ : «ومَنْ قالَ لَكَ إنَّكَ سَتَموتُ؟»

أجابَ كولِن : «الجَميعُ يَقولونَ ذلِكَ. وأظُنُّ أنَّ الخَلاصَ مِنّي يُريحُ لَهُمْ.»



قالَتْ ماري: «لا أُصَدِّقُ ذلِكَ. وأَعْتَقِدُ أَنَّ الطَّبيبَ الشَّهيرَ كانَ على حَقٍّ. عَلَيْهِمْ أَنْ يَتْرُكوكَ تَعيشُ حَياةً طَبيعيَّةً، فَتَمْرَحَ وتَلْعَبَ، كَما يَمْرَحُ الأَوْلادُ ويَلْعَبونَ. لَيْتَكَ تَرى ديكُن! سَتُحِبُّ عِنْدَها الحَياةَ.» وأَخْبَرَتْهُ عَنْ أُسْرَةِ ديكُن الَّتي كانَتْ تَعيشُ، رَغْمَ الفَقْرِ الشَّديدِ، عيشَةً سَعيدَةً راضِيَةً.

تَوالى هُطولُ الأَمْطارِ أُسْبوعًا كامِلًا. فَلَمْ تَخْرُجْ ماري إلى الحَديقَةِ وكانَتْ تَدَنَ ذلِكَ تُمْضي أَيّامَها مَعَ كولِن. كانا يَقْرَآنِ ويَتَحادَثانِ وبَدَأَ كولِن، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، يَضْحَكُ. وكَثيرًا ما كانَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الحَديقَةِ وعَمّا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ فيها. وكانَتْ ماري تَرْغَبُ رَغْبَةً شَديدَةً في إِشْراكِهِ في سِرِّها. لكِنَّها كانَتْ تَشْعُرُ أَنَّ الوَقْتَ لَمْ يَحِنْ بَعْدُ لِمَنْحِهِ ثِقَتَها كامِلَةً.

إِسْتَيْقَظَتْ ماري في صَباحِ أَحَدِ الأَيّامِ، بَعْدَ تَوَقُّفِ المَطَرِ، فَوَجَدَتْ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ قَدْ تَسَرَّبَتْ عَبْرَ السَّتائِرِ. رَكَضَتْ إلى الحَديقَةِ السِّرِّيَّةِ فَوَجَدَتْ ديكُن قَدْ سَبَقَها إِلَيْها.

صاحَ ديكُن بِفَرَحٍ: «لَمْ أَسْتَطِعِ البَقاءَ في الفِراشِ في هٰذا اليَوْمِ الجَميلِ. أُنْظُري إلى الحَديقَةِ!» كانَ الدِّفْءُ والمَطَرُ قَدْ أَطْلَعا نَباتاتِ الأَرْضِ وانْتَشَرَتْ أَزْهارُ الزَّعْفَرانِ البُرْتُقاليِّ والأُرْجُوانيِّ. أَخَذَتْ ماري تَنْظُرُ حَوْلَها مَبْهورَةً وقَلْبُها يَخْفِقُ خَفَقانًا شَديدًا وكانَ «أَبو الحِنِّ» مُنْهَمِكًا في بِناءِ عُشِّهِ.

قالَ ديكُن مُنَبِّهًا: «لا تَقْتَرِبي مِنْهُ كَثيرًا. إِنَّهُ مُنْشَغِلٌ جِدًّا ولا يَسْتَلْطِفُ الزِّيارَةَ أَوِ الثَّرْثَرَةَ.»

مَرَّ أُسْبوعٌ عَلى زِيارَةِ ديكُن. وقَدْ أَخْبَرَتْهُ ماري بِقِصَّةِ كولِن وتَرَدُّدِها إِلَيْهِ.

قالَ ديكُن: «إِذا اسْتَطَعْنا إِخْراجَهُ إِلى الهَواءِ الطَّلْقِ يَنْسى الحَدَبَةَ الَّتي يَظُنُّ أَنَّها سَتَطْلُعُ في ظَهْرِهِ. سَنَكونُ ثَلاثَتُنا هُنا، أَوْلادًا عادِيِّينَ صِغارًا يَسْتَكْشِفونَ الرَّبيعَ. أَنا أَدْفَعُ كُرْسِيَّهُ. سَيَكونُ ذٰلِكَ خَيْرًا مِنْ دَواءِ الأَطِبّاءِ.»

عادَتْ ماري إِلى المَنْزِلِ مَساءً، فَأَخْبَرَتْها مَرْتا أَنَّ كولِن ناقِمٌ عَلَيْها لِأَنَّها لَمْ تَزُرْهُ ذٰلِكَ اليَوْمَ.

أَسْرَعَتْ إِلى غُرْفَتِهِ، فَإِذا بِهِ يَصيحُ في وَجْهِها: «لَنْ أَسْمَحَ لِذٰلِكَ الفَتى بِالبَقاءِ هُنا إِذا كُنْتِ تَتْرُكينَني وتَذْهَبينَ إِلَيْهِ. أَنْتِ لا تُحِبّينَ إِلّا نَفْسَكِ، لَقَدْ تَرَكْتِني وَحْدي طَوالَ النَّهارِ!»



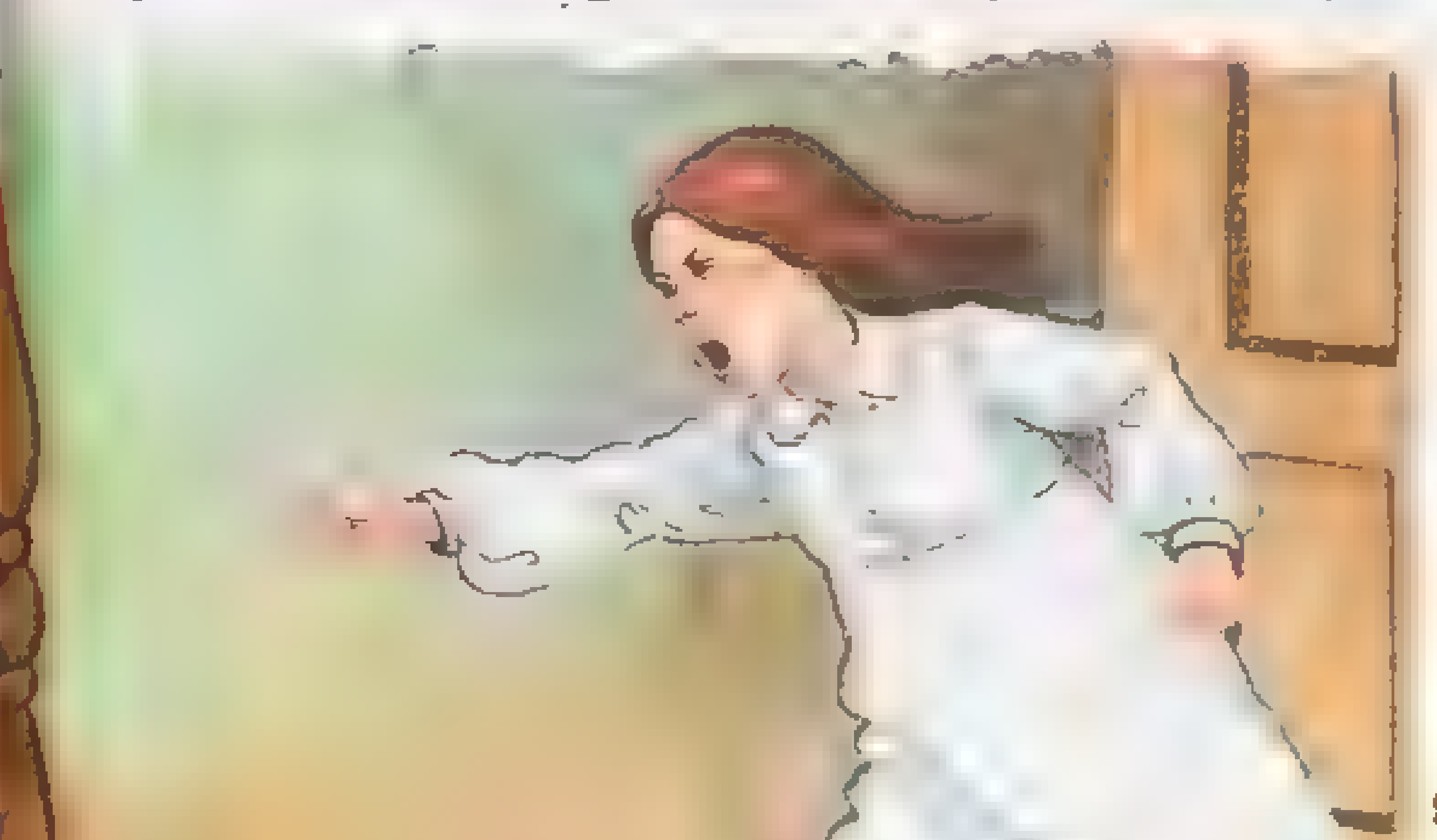
قاطَعَتْهُ ماري بِحِدَّةٍ قائِلَةً : «وأَنْتَ؟ أَنْتَ أَكْثَرُ مَنْ عَرَفْتُ حُبًّا لِنَفْسِهِ !»

أَخَذَ كولِن يَنْتَحِبُ قائِلًا : «أَنا مُشْرِفٌ عَلى المَوْتِ !»

فصَرَخَتْ ماري بِغَضَبٍ : «لا أُصَدِّقُكَ ! إِنَّكَ لا تَسْعى إِلّا إِلى اسْتِدْرارِ الشَّفَقَةِ ، لكِنْ لَنْ يُشْفِقَ عَلَيْكَ أَحَدٌ ! أَنْتَ وَلَدٌ مُعَقَّدٌ مُقْرِفٌ !» وَمَشَتْ إِلى البابِ مُسْرِعَةً ، ثُمَّ أَدارَتْ وَجهَها إِلَيْهِ وَصَرَخَتْ : «كُنْتُ أَنْوي أَنْ أُخْبِرَكَ عَنْ ديكُن وَثَعْلَبِهِ وغُرابِهِ ، لكِنَّني غَيَّرْتُ رَأْيي .» وَمَشَتْ بِقُوَّةٍ وصَفَقَتِ البابَ وَراءَها.

أَخَذَتْ ، وَهِيَ في غُرْفَتِها ، تُفكِّرُ في الأَيّامِ المُوحِشَةِ الَّتي يَعيشُها كولِن . فهَدَأَ غَضَبُها وأَحَسَّتْ بِالشَّفَقَةِ عَلَيْهِ ، وقالَتْ في نَفْسِها : «إِذا أَرادَني أَنْ أَزورَهُ غَدًا فَسَوْفَ أَفْعَلُ .»

إِسْتَفاقَتْ ماري لَيْلًا عَلى ضَجَّةٍ في المَمَرّاتِ ، ووَصَلَتْ إِلَيْها أَصْواتُ بُكاءٍ وصُراخٍ . فأَدْرَكَتْ عَلى الفَوْرِ أَنَّ كولِن أُصيبَ بِنَوْبَةٍ مِنْ نَوْباتِ هِياجِهِ . فَسَدَّتْ أُذُنَيْها بِيَدَيْها، لكِنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْجُبَ عَنْها الصُّراخَ

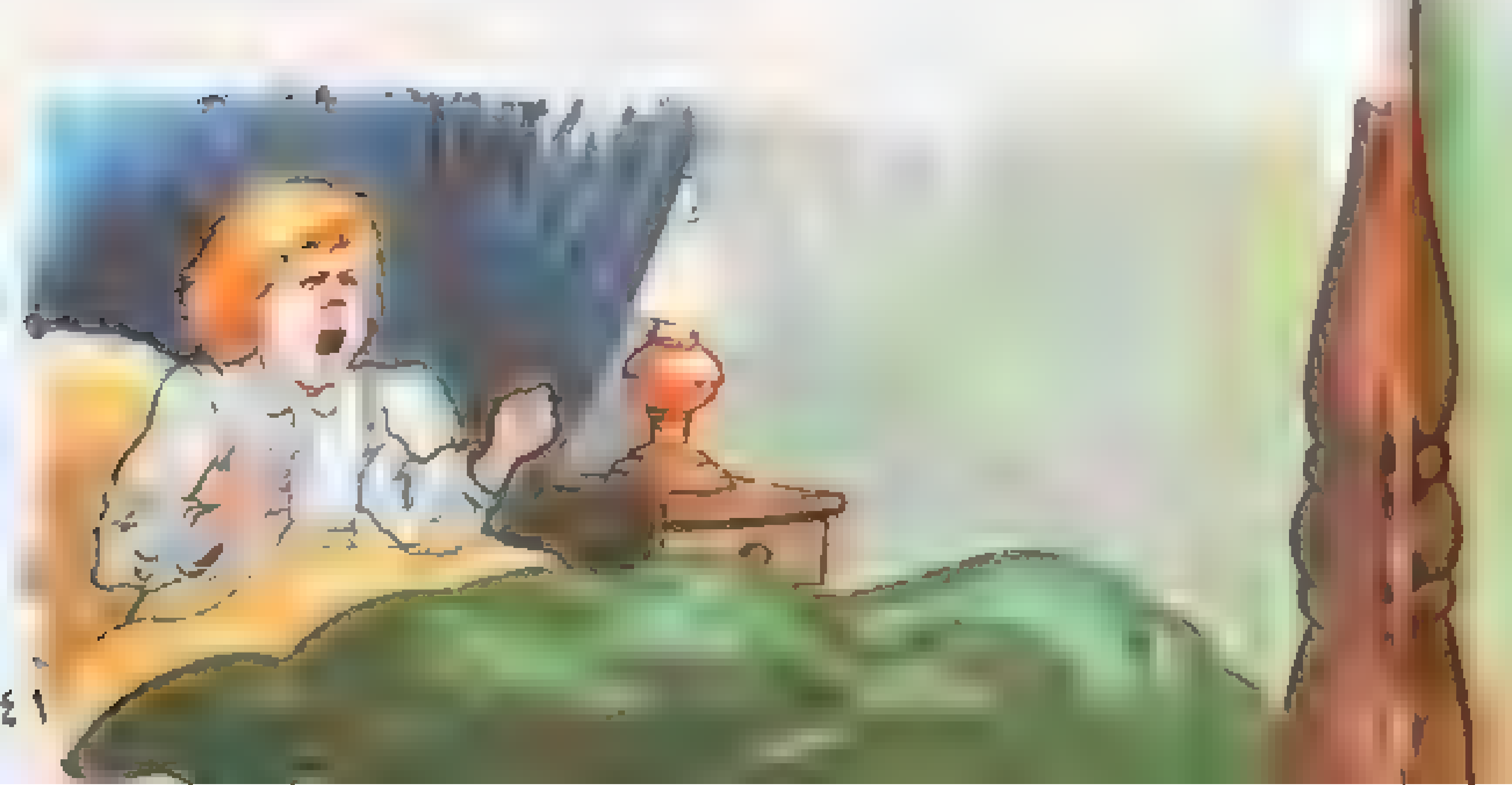


قَفَزَتْ مِن سَريرِها ، وضَرَبَتِ الأَرْضَ بِقَدَمِها ، وصاحَتْ : «لا بُدَّ مِنْ إِسْكاتِهِ . إِنَّهُ يَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ قِصاصًا لَهُ على أَنانِيَّتِهِ ! إِنَّهُ يُزْعِجُ كُلَّ مَنْ في المَنْزِلِ !» رَكَضَتْ إِلى غُرْفَةِ كولِن وصاحَتْ في وَجْهِهِ : «أُسْكُتْ ! أَنا أَكْرَهُكَ ! سَيَقْتُلُكَ الصُّراخُ بَعْدَ دَقيقَةٍ واحِدَةٍ ، ولَيْتَكَ تَموتُ فَنَرْتاحَ مِنْكَ !»

كانَ مَنْظَرُ كولِن مُرْعِبًا . فقَدِ انْتَفَخَ وَجْهُهُ وأَخَذَ جَسَدُهُ يَنْتَفِضُ وَنَفَسُهُ يَضيقُ ويَتَقَطَّعُ . لكِنَّ ماري كانَتْ مِنَ الغَضَبِ والانْفِعالِ بِحَيْثُ لَمْ تَأْبَهْ لِكُلِّ ذلِكَ ، وانْفَجَرَتْ صائِحَةً : «إِذا صَرَخْتَ سَأَصْرُخُ أَكْثَرَ مِنْكَ !»

قالَ كولِن في صَوْتٍ مُتَقَطِّعٍ باكٍ : «لَنْ أَكُفَّ عَنِ الصُّراخِ . فقَدْ بَرَزَتْ في ظَهْري حَدَبَةٌ .»

فقاطَعَتْهُ ماري بِحِدَّةٍ قائِلَةً : «إِسْتَدِرْ وأَرِني ظَهْرَكَ .» نَظَرَتْ بِتَفَحُّصٍ إِلى الظَّهْرِ البائِسِ النَّحيلِ ، وقالَتْ : «لا أَرى حَدَبَةً ولا حَتّى بِحَجْمِ رَأْسِ الدَّبّوسِ . إِيّاكَ أَنْ تَتَحَدَّثَ عَنِ الحَدَبَةِ مَرَّةً أُخرى !»



هدأ نحيبُ كولِن شيئًا فشيئًا. وجلستْ ماري إلى جانبِه تُواسيهِ حتّى نامَ.

خرجتْ ماري، في الصّباحِ، إلى الحديقةِ فوجدتْ ديكن هُناك يُلاعِبُ سِنجابيْهِ المرِحَيْنِ. أخبرتْهُ بما حدثَ لِكولِن ليلًا فقالَ: «مِسكينٌ! علَيْنا أنْ نُخرِجَهُ إلى الحديقةِ.»

قالتْ ماري: «علَيْنا أنْ نفعلَ ذلِكَ، ولَوِ استعْمَلْنا القوَّةَ!»

ضَحِكَ ديكن كثيرًا، وقالَ: «أُمّي تقولُ: الضَّحِكُ يُسْعِدُ الأصِحّاءَ ويُساعِدُ على شِفاءِ المَرْضى.»

عِندَما قامَتْ ماري بزيارةِ كولِن ذلِكَ المَساءِ حدَّثتْهُ عمّا فعلَ ديكن وسِنجاباهُ المرِحانِ، فضَحِكَ الولَدانِ طويلًا. وقضَيا وقتًا لَطيفًا يَتحادثانِ وكانَ مِمّا قالَهُ كولِن: «آسَفُ لأنّي قُلْتُ إنّي لَنْ أسْمَحَ لِديكن بالإقامةِ هُنا. لَمْ أعْنِ ما قُلْتُ. إنَّهُ ولَدٌ رائِعٌ!»

إبْتَسَمَتْ ماري وقالَتْ: «يَسُرُّني أنَّكَ قُلْتَ ذلِكَ. فإنَّ ديكن قادِمٌ لِزِيارَتِكَ ومَعَهُ حيواناتُهُ.»

أبْدى كولِن ترحيبًا حارًّا، وطَفَحَ وجهُهُ بِسعادةٍ غامِرةٍ مُفاجِئةٍ. ورأتْ ماري أنْ تنتهِزَ الفُرْصَةَ وتَحكِيَ لَهُ عنِ الحديقةِ السِّرِّيَّةِ. فقالَتْ: «عِنْدي لَكَ أيْضًا مُفاجأةٌ سارَّةٌ. لَقَدْ وَجَدْتُ مِفتاحَ بابِ الحديقةِ السِّرِّيَّةِ!»

غَمرَ الفرحُ وجْهَ كولِن وصاحَ مُبْتهِجًا: «ما رأيُكِ أنْ نذهَبَ ونَستكْشِفَ ما فيها؟»

صَمَتَتْ ماري لَحْظَةً ثُمَّ استجْمَعَتْ شَجاعتَها وأخبرَتْهُ الحقيقةَ. قالَتْ: «سَبَقَ لي أنْ دَخَلْتُ الحديقةَ ولِهذا كُنْتُ قادِرةً على أنْ أُخبِرَكَ الكثيرَ عنْها. لِمْ أجرُؤْ على كَشْفِ سِرّي لكَ قبْلَ أنْ أتأكَّدَ أنّكَ لَنْ تَبوحَ بهِ لأحَدٍ.» [illegible] ساعةَ الفُطورِ، أنّ أحَدَ الأولادِ آتٍ بِزيارتِهِ ومعَهُ عددٌ مِنْ حيواناتِهِ، وأنّ علَيْها أنْ تقودَ الولَدَ وحيواناتِهِ إليْهِ فورَ وُصولِهِمْ.

سُرعانَ ما سَمِعَتْ ماري ثُغاءَ حَمَلٍ، فصاحَتْ مُبْتَهِجَةً: «إنَّهُ حَمَلُ ديكن! هذا ديكن وحيواناتُهُ!»



دَخَلَ دِيكُن الغُرْفَةَ مُبْتَسِمًا ، يَرْفَعُ حَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وكانَ ثَعْلَبُهُ الأَحْمَرُ الصَّغيرُ يَقْفِزُ بِمَرَحٍ ، بَيْنَما كانَ أَحَدُ سِنْجابَيْهِ يَجْلِسُ عَلى كَتِفٍ ويَجْلِسُ الغُرابُ عَلى الكَتِفِ الأُخْرى. أَمّا السِّنْجابُ الثّاني فكانَ يُطِلُّ بِرَأْسِهِ من جَيْبِ سُتْرَتِهِ.

حَدَّقَ كولِن في دَهْشَةٍ وذُهولٍ. اِقْتَرَبَ دِيكُن بِرِفْقٍ وَوَضَعَ الحَمَلَ في حِضْنِ كولِن وأَعْطاهُ قِنّينَةً يُطْعِمُ مِنْها الحَمَلَ. وانْهَمَكَ ثَلاثَتُهُمْ في حَديثٍ مُمْتِعٍ بَريءٍ. كانَ عِنْدَ دِيكُن مِنَ الحِكاياتِ ما لا عَدَّ لَهُ.

قالَ كولِن : «سَأَسْتَكْشِفُ الحَديقَةَ السِّرِّيَّةَ كُلَّها شِبْرًا شِبْرًا.»

فَأَسْرَعَتْ ماري تَقولُ : «لا تُضِعْ وَقْتًا ، هَيّا بِنا!»

وُضِعَ كولِن في كُرْسِيِّهِ ، وقامَ دِيكُن بِدَفْعِ الكُرْسِيِّ. وأَخَذَتْ ماري تَتَحَدَّثُ عَنِ الأَماكِنِ الَّتي يَمُرّونَ بِها. قالَتْ : «هُنا قابَلْتُ البُسْتانِيَّ بِنْ ، وهُنا رَأَيْتُ أَبو الحِنِّ.» ثُمَّ قالَتْ ، وقَدْ لَمَعَتْ عَيْناها ، هامِسَةً : «وَهُنا الحَديقَةُ!»

فَتَحَتْ ماري بابَ الحَديقَةِ ، وأَسْرَعَ دِيكُن يَدْفَعُ كُرْسِيَّ كولِن أَمامَهُ. راحَ الفَتى العَليلُ يُجيلُ النَّظَرَ في الأَشْياءِ الَّتي كانَتْ ماري قَدْ وَصَفَتْها لَهُ ، ويَتَأَمَّلُها طَويلًا ، ثُمَّ صاحَ مُبْتَهِجًا : «سَأَتَعافى! سَأَعيشُ إلى الأَبَدِ!» في ذٰلِكَ اليَوْمِ ، بَدَأَ كولِن حَياةً جَديدَةً.

قالَ دِيكُن : «ما أَرْوَعَ هذا اليَوْمَ!»

وقالَتْ ماري : «نَعَمْ ، ما أَرْوَعَهُ!»



قالَ كولِن: «أَتَمَنَّى أَلّا يَنْتَهِيَ هٰذا اليَوْمُ! أَشْعُرُ أَنَّ هٰذا الجَمالَ قَدْ خُلِقَ لي وَحْدي. سَأَتَرَدَّدُ على هٰذا المكانِ كُلَّ يَوْمٍ وأَسْتَمْتِعُ به طَوال حَياتي.»

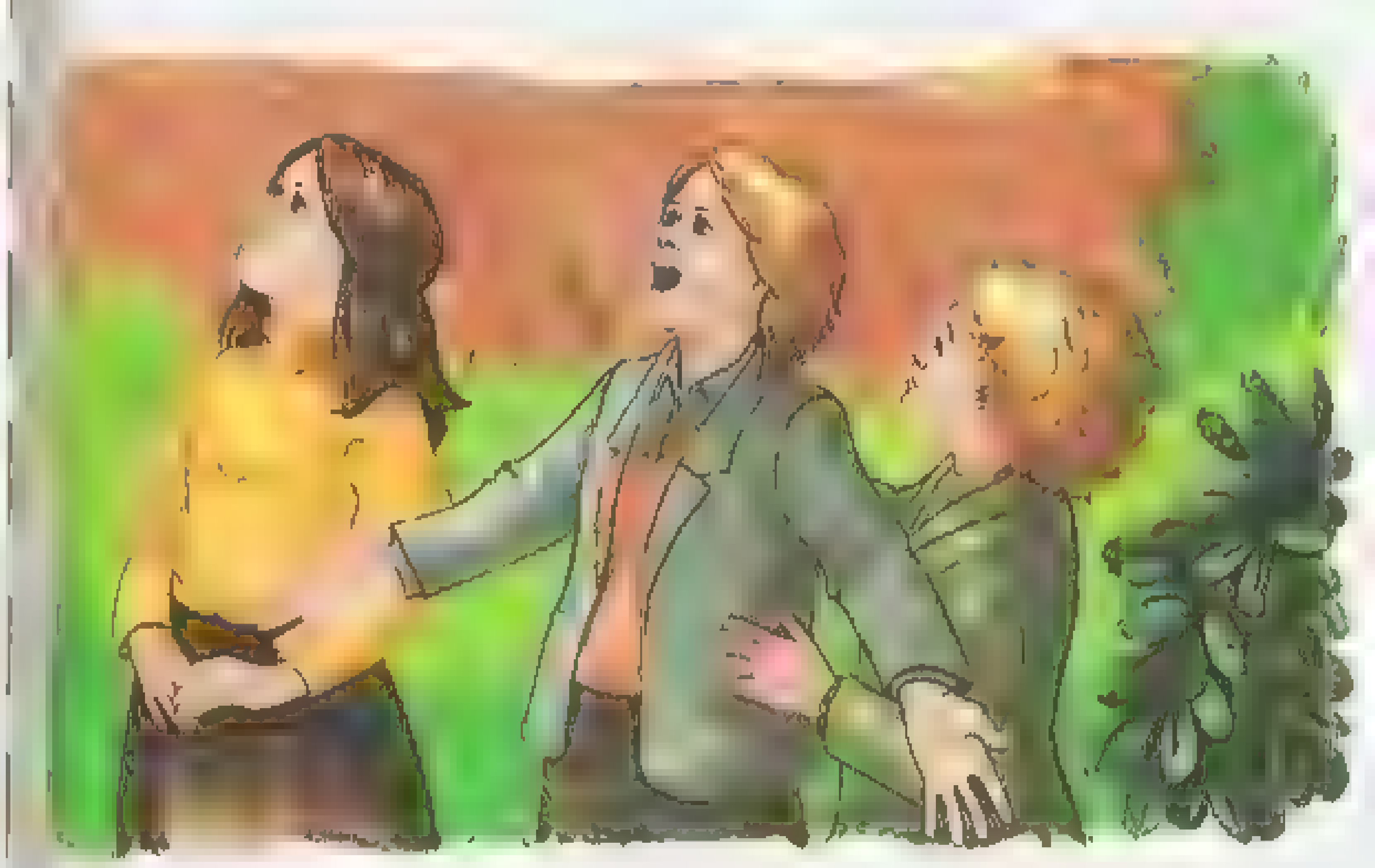
قالَ ديكُن: «ونَحْنُ سَنَأْتي مَعَكَ. وعَمّا قَريبٍ سَنَجْعَلُكَ تُشارِكُنا في حَفْرِ الأَرْضِ والتَّنَزُّهِ في البَرِّيَّةِ سَيْرًا على الأَقْدامِ.»

فَجْأَةً، أَطَلَّ البُسْتانيُّ بِنْ مِنْ فَوْقِ السّورِ وخاطَبَ ماري غاضِبًا: «ما الَّذي تَفْعَلينَهُ هُنا؟» ثُمَّ رَأى كولِن فَفَغَرَ فَمَهُ في ذُهولٍ.

سَأَلَهُ كولِن: «أَتَعْرِفُ مَنْ أَنا؟»

أَجابَ بِنْ: «نَعَمْ أَعْرِفُ. أَنْتَ الوَلَدُ الكَسيحُ المِسْكينُ.»

رَفَعَ كولِن رَأْسَهُ وصاحَ بِغَضَبٍ: «أَنا لَسْتُ كَسيحًا! سَأُريكَ أَنّي لَسْتُ كَسيحًا!»





إِنْتَفَضَ يُخَلِّصُ نَفْسَهُ مِنَ الكُرْسيِّ، يُساعِدُهُ في ذٰلِكَ ديكُن، ووَقَفَ في الحَديقَةِ مُنْتَصِبًا بِقامَتِهِ المَديدَةِ. وصاحَ: «انْظُرِ الآنَ! أَتَراني كَسيحًا؟»

أَحَسَّ بِنْ بِسَعادَةٍ عارِمَةٍ، وراحَتِ الدُّموعُ تَتَساقَطُ مِنْ عَيْنَيْهِ، وقالَ بِتَأَثُّرٍ: «الحَمْدُ للهِ! حَماكَ اللهُ يا بُنَيَّ!»

ظَلَّ كولِن واقِفًا. وأَحَسَّ، فَجْأَةً، أَنَّ الخَوْفَ قَدْ زايَلَهُ إلى الأَبَدِ، فصاحَ: «لَمْ أَعُدْ خائِفًا! لَقَدْ مَسَّني سِحْرُ الحَديقَةِ السِّرِّيَّةِ! إِنَّ سِحْرَها الذي مَسَّ النَّباتاتِ قَدْ مَسَّني هٰذِهِ المَرَّةَ!»

بَدا كولِن، في ذٰلِكَ المَساءِ، صامِتًا. لكِنَّهُ أَخيرًا قالَ لِماري: «لَنْ أَكونَ فَتًى مِسْكينًا بَعْدَ اليَوْمِ. إذا آمَنْتُ بِأَنّي سَأَكونُ مُعافًى قَوِيًّا تَعافَيْتُ وقَوِيتُ.»

دَعا كولِن، في اليَوْمِ التّالي، كُلًّا مِنْ ماري وديكُن، وقالَ لَهُما: «سَأُريكُما أَنَّ السِّحْرَ قَدْ فَعَلَ فِعْلَهُ.»

أخذ كولن يخطو ببطء خطواتٍ قليلةً ثُمَّ يتوقَّفُ ، ثُمَّ يعودُ الخطوَ ، حتّى دارَ حولَ الحديقةِ كلِّها. طفحَ وجهُهُ بِشرًا ، وقالَ :

«لا شكَّ أنَّ هذا سِرٌّ مِنْ أعظمِ الأسرارِ . حينَ أتمكَّنُ مِنَ المَشْيِ كما يَمْشي الأولادُ والجَرْيِ كما يجرونَ سأدخلُ مكتبَ أبي ، وأقولُ لَهُ : ها أنا ، يا أبي ، مُعافًى وقويٌّ !» غيرَ أنَّ إخفاءَ هذا السِّرِّ لَمْ يَكُنْ أمرًا هيِّنًا . فقدْ كانَ سِحرُ الحديقةِ السِّرِّيَّةِ يُحوِّلُ كولِن إلى فتًى ذي عينينِ برّاقتينِ ووجنتينِ مُورَّدتينِ. وكانَ كولِن وماري يُمارِسانِ كُلَّ يومٍ تمارينَ وألعابًا ، فامتلأَ جسدُهُما وتحسَّنتْ صِحَّتُهُما. وزيَّلَ ماري ما كانَ في شخصيَّتِها مِنْ نكدٍ وتعاسةٍ وما كانَ في نظرتِها مِنْ تكبُّرٍ وجفاءٍ ، فغدَتْ فتاةً رقيقةً ساحرةً. وزايَلَ كولِن كُلُّ مظهرٍ مِنْ مظاهرِ المرضِ. وأصابَ هذا التغيُّرُ أهلَ المنزِلِ كلَّهُمْ بالذهولِ.

كانَ كولِن ، في أحدِ الأيّامِ ، يحفِرُ الأرضَ ، فتوقَّفَ فجأةً ، وقدْ أحسَّ أنَّهُ إنسانٌ جديدٌ ، وصاحَ مُخاطِبًا رفيقيهِ : «انظُرا إليَّ ! أنا بخيرٍ ! أنا بخيرٍ حقًّا ! أُريدُ أنْ أهتِفَ فرحًا ! سأعيشُ ، سأعيشُ ، سأعيشُ إلى الأبدِ !»

بينما كانَ سِحرُ الحديقةِ السِّرِّيَّةِ يفعَلُ فعلَهُ ، كانَ السَّيِّدُ كراڤن يقومُ بتجوالِهِ في أماكنَ نائيةٍ . فإنَّهُ مُنْذُ عشرِ سنواتٍ يُحاوِلُ الهربَ مِنْ أحزانِهِ ويرفُضُ أنْ يُسرِّيَ عنهُ أحدٌ أوْ حتّى أنْ يُحاوِلَ ذلِكَ.

كانَ ، في أحدِ الأيّامِ ، يتجوَّلُ في بقعةٍ ساحرةٍ مِنْ ريفِ النِّمسا. رأى ساقيةً وادِعةً فجلسَ عِندَها. فجأةً ، أخذَ يشعُرُ أنَّ شيئًا مِنْ وداعةِ المكانِ وهدوئِهِ أخذَ يتسرَّبُ إلى عقلِهِ وجسدِهِ . وأحسَّ ، مُنذُ تلكَ اللَّحظةِ ، أنَّ السَّعادةَ بدأتْ تعودُ إليهِ وأنَّ جسدَهُ أخذَ يشتدُّ ويقوى.



رأى في نومِهِ ، ذاتَ ليلةٍ ، حديقةَ زوجتِهِ. وكانَ حُلْمُهُ شديدَ الوضوحِ ، فقرَّرَ أنْ يعودَ إلى منزِلِهِ فورًا. وما إنْ وصلَ المنزلَ حتّى توجَّهَ إلى الحديقةِ.

مشى إلى الحديقةِ بخطواتٍ ثقيلةٍ. فقدْ عادتْ إليهِ ذكرياتُهُ الحزينةُ كلُّها. وبينما كانَ واقفًا أمامَ بابِ الحديقةِ السِّرِّيَّةِ ، يُفكِّرُ في طريقةٍ يجدُ فيها المفتاحَ ، سمِعَ أصواتَ ضحكاتٍ تأتيهِ مِنَ الدّاخلِ.

اِنْفَتَحَ البابُ بِقُوَّةٍ فَجْأَةً ، واندَفَعَ خارِجًا مِنْهُ فَتًى طَويلٌ وَسيمٌ. وَقَفَ السَّيِّدُ يُحَدِّقُ مذهولًا ، لا يُصَدِّقُ ما يرى وقَدْ عَقَدَتِ المُفاجأةُ لِسانَهُ.

اِلْتَقَطَ كولِن أنْفاسَهُ ، ووَقَفَ أمامَ أبيهِ ساكِنًا لِبُرْهَةٍ ، ثُمَّ قالَ: «أبي ، أنا كولِن! شَيْءٌ لا يُصَدَّقُ ، ولٰكِنَّها الحَقيقَةُ.»

ثُمَّ قادَ أباهُ إلى الحديقَةِ ، وأخبرَهُ كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّبيعَةُ فِعْلَها فجَعَلَتْ كُلَّ شَيْءٍ في الحَديقَةِ يَنْمو ويَزْدَهِرُ وأعادَتْ إلَيْهِ قُوَّتَهُ وعافِيَتَهُ.

لَمْ يَكُنِ السَّيِّدُ كراڤن قَدْ سَمِعَ ، في حَياتِهِ كُلِّها ، قِصَّةً أرْوَعَ مِن تِلْكَ القِصَّةِ. جَلَسَ إلى جانِبِ كولِن وماري وديكُن والحَيَوانات يَسْتَمِعُ إلى أخْبارِهِمْ ويَضْحَكُ كَما لَمْ يَضْحَكْ مُنْذُ سِنينَ. وكانَ شَديدَ الفَخْرِ والاِعْتِزازِ بِابْنِهِ الوَسيمِ المُعافى!

قالَ كولِن أخيرًا: «لا حاجَةَ لِأنْ يَظَلَّ أمْرُ الحَديقَةِ سِرًّا بَعْدَ اليَوْمِ. ولَنْ أحْتاجَ لِلْكُرْسيِّ أبدًا. سَأَمْشي مَعَكَ وأُرافِقُكَ ، يا أبي!»

وَقَفوا كُلُّهُمْ ، ومَشى السَّيِّدُ كراڤن إلى مَنْزِلِهِ عَبْرَ المَرْجِ ، وإلى جانِبِهِ مَشى ابْنُهُ القَوِيُّ المُنْتَصِبُ القامَةِ.





تَسْعى مَكْتَبَةُ لُبْنان مِنْ خِلالِ هٰذِهِ السِّلْسِلَةِ إلى تَعْريفِ الفَتى العَرَبِيِّ بِروائِعِ الأَدَبِ العالَمِيِّ، وإِعْدادِهِ لِلدُّخولِ، فيما بَعْدُ، في عالَمِ القِصَصِ الخالِدَةِ مِنْ بابِهِ الواسِعِ. إِنَّنا نَعْتَقِدُ أَنَّ مِنْ حَقِّ أَبْنائِنا أَنْ يُكَوِّنوا فِكْرَةً صَحيحَةً شامِلَةً عَنْ إِنْتاجِ القِصَصِ الذّائِعَةِ الصِّيتِ في مُخْتَلِفِ أَصْقاعِ الأَرْضِ.

عَلى أَنَّنا نَثِقُ أَنَّ هٰذِهِ القِصَصَ تَصْلُحُ، بِالشَّكْلِ الَّذي نُقَدِّمُها فيهِ، لِلْكِبارِ أَيْضًا. لِأَنَّنا حَرَصْنا عَلى أَلّا نَنْتَقِصَ مِنْ جَوْهَرِ الفِكْرَةِ الَّتي يَقومُ عَلَيْها العَمَلُ ومِنْ بِناءِ الشَّخْصِيّاتِ كَما أَرادَها المُؤَلِّفونَ.

وحَرَصْنا عَلى المُحافَظَةِ عَلى عَناوينِ الكُتُبِ الأَصْلِيَّةِ وكَذٰلِكَ عَلى أَسْماءِ العَلَمِ والأَماكِنِ، كَما وَرَدَتْ في الأَصْلِ، رَغْبَةً في إِعْطاءِ صورَةٍ حَقيقِيَّةٍ عَنِ الجَوِّ العامِّ لِلْقِصَصِ، مِنْ حَيْثُ المَكانُ والأَوْضاعُ الاجْتِماعِيَّةُ والأَحْداثُ التّاريخِيَّةُ، وخِدْمَةً لِلْهَدَفِ الَّذي نَسْعى إِلَيْهِ وهُوَ تَمْهيدُ الطَّريقِ لِلتَّعَرُّفِ إلى الأَدَبِ العالَمِيِّ. عَلى أَنَّنا تَجَنَّبْنا الخَوْضَ في تَفاصيلِ الأَسْماءِ الَّتي لا تَتَعَلَّقُ مُباشَرَةً بِصُلْبِ المَوْضوعِ ولا تُؤَثِّرُ عَلى سَيْرِ الأَحْداثِ، وذٰلِكَ لِكَيْ لا نُرْبِكَ القارِئَ العَرَبِيَّ بِأَسْماءٍ ثانَوِيَّةِ الأَهَمِّيَّةِ، غَريبَةِ اللَّفْظِ قَليلَةِ التَّواتُرِ.

وتَمْتازُ هٰذِهِ القِصَصُ كُلُّها بِأَنَّها شَديدَةُ التَّشْويقِ، وتَقومُ في غالِبِها عَلى المُغامَراتِ المُثيرَةِ. وأَكْثَرُ هٰذِهِ القِصَصِ المُخْتارَةِ كُتِبَتْ أَصْلًا لِتُرْضِيَ جُمْهورَ الشَّبابِ، وهِيَ مِنْ هٰذِهِ النّاحِيَةِ تُرْضي مَشاعِرَهُمْ ومَبادِئَهُمْ وحُبَّهُمْ لِلانْطِلاقِ واكْتِشافِ المَجْهولِ.

إِنَّ هٰذِهِ القِصَصَ جَميعَها، وإِنْ تَكُنْ في غالِبِها تَقومُ عَلى حُبِّ المُغامَرَةِ، تَتَناوَلُ أَصْدَقَ المَشاعِرِ الإِنْسانِيَّةِ، وتُصَوِّرُ كِفاحَ الإِنْسانِ لِتَحْقيقِ مُثُلِهِ العُلْيا دونَ أَنْ يَعْبَأَ بِالتَّضْحِياتِ.

وزُوِّدَتْ كُتُبُ السِّلْسِلَةِ جَميعُها بِمُقَدِّماتٍ تُعَرِّفُ بِالمُؤَلِّفِ كَما زُوِّدَتْ بِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ رائِعَةٍ تُضْفي جَوًّا مِنَ السِّحْرِ عَلى أَحْداثِ القِصَصِ، وتُصَوِّرُ الخَلْفِيّاتِ الاجْتِماعِيَّةَ والتّاريخِيَّةَ أَصْدَقَ تَصْويرٍ.

طبع في انكلترا ١٩٨٢


فِي سِلسِلة كُتُب المُطالعَة الآن أكثر من ٢٥٠ كتابًا تتناوَل ألوانًا
مِن المَوضوعات تناسِب مختلف الأعمار . اطلب البيان الخاص بها مِن:
مَكتبة لبنان - سَاحة رياض الصّلح - بَيروت


ARAB COMICS
AC
عرب كوميكس
www.arabcomics.net